المصطلح ودلالته
فى الدرْس الصوتى عند العرب
(القسم الثانى)

د . رفعت الفرنوانى*

[فى القسم الأول من هذا البحث ، والذى نشر بالجزء الثامن من السلسلة ، تناول د . رفعت الفرنوانى بالتحليل المصطلحات التالية :

أسلة اللسان . البلعوم . التلتلة . التمتمة . الثنايا . جرس الصوت . الجهر . الحرف . الحلق . الحنجرة . الحنك . المخرج . الخيشوم . مدرجة الحرف . الادغام . ذلق اللسان]

١٧ - الحروف الرخوة :

لا يربط معجمان قديمان بين صفة الرخاوة وبين الأصوات التى تحتوى على هذه الصفة ، وهما معجما العين وأساس البلاغة .

أما معاجم المحيط واللسان والوسيط فانها تتعرض لهذا الجانب وتمثل لهذه الأصوات الرخوة تمثيلا واحدا ولسان العرب يعرف ما سماه الحرف الرخو بأنه الحرف الذى يجرى فيه الصوت ؛ ألا ترى أنك تقول المس والرش والسح ونحو ذلك فتجد الصوت جاريا مع السين والشين والحاء ؟ والحروف الرخوة فى القواميس التى تعرضت لها هى بعينها التى حددها سيبويه وهى : الثاء والحاء والخاء والذال والزاى والظاء والصاد والضاد والغين والفاء والسين والشين والهاء .

(*) مدرس بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة المنيا – والمعار حاليا إلى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد – باكستان .

ويتساوى مصطلح الرخاوة فى دلالته مع مصطلح الاحتكاك الذى يستخدمه بعض اللغويين المحدثين ، أما البعض الآخر من هؤلاء المحدثين فإنه يستخدم المصطلح القديم وصفا للصوت الذى يضيق فيه المجرى الهوائى أثناء نطقه عن طريق تقارب عضوين من أعضاء النطق بحيث لا يغلقان المجرى الهوائى تماما وانما يسمحان له بالمرور بينهما محدثا احتكاكا بهما . وهذا يتساوى مع ما عبر عنه القدماء بقولهم : الحرف الرخو هو الذى يجرى فيه الصوت .

فإذا حاولنا عقد مقارنة بين القدماء والمحدثين فيما يتصل بالرخاوة وجدنا أن هذا يمكن أن يتم فى جانبين هما جانب التعريف وقد تكلمنا عنه وبينا أن فكرة القدماء عن الرخاوة لا تختلف عن فكرة المحدثين عن الاحتكاك ، وجانب التمثيل الذى يختلف فيه القدماء والمحدثون فيما يتصل بصوتى الضاد والعين ، فلقد اعتبر القدماء الضاد صوتا رخوا ، أما المحدثون فيعتبرونها انفجاريا (شديدًا بمصطلحات القدماء) كما اعتبر القدماء العين صوتا متوسطا لاهو بالرخو ولا بالشديد ، أما المحدثون فيعتبرونها صوتا احتكاكيا (رخوا) ويعنى هذا أن القدماء أدخلوا فى قائمة الأصوات الرخوة (الاحتكاكية) صوتا ليس منها ، كما أنهم أخرجوا منها صوتا ينتمى إليها ، وذلك من وجهة نظر المحدثين إلى الأصوات العربية كما تنطق اليوم من مجيدى هذه اللغة .

ولا نريد أن نناقش أسباب هذا الاختلاف ، فهذا البحث مخصص لمناقشة قضية المصطلح ونكتفى فقط بالاشارة إلى أن الضاد التى يتكلم عنها القدماء تختلف تماما عن الضاد التى ننطقها اليوم ، فضاد القدماء تمثل صوتا مركبا(٣٣) Affricate لا هو بالاحتكاكى فقط ولا بالانفجارى فقط وإنما هو احتكاكى انفجارى فى نفس الوقت .

أما العين فلا نستطيع تفسير موقف القدماء منها ، فهى لا تختلف عن الحاء إلا فى أنها مجهورة ، حيث يخرجان من البلعوم ، ويحتك الهواء بهذاالجزء أثناء نطقهما بنفس الطريقة ، ورغم ذلك فقد وضع القدماء الحاء فى قائمة الأصوات الرخوة دون العين .

ولا نريد كذلك أن نناقش موقف القدماء من العين فهذا يحتاج إلى دراسة مستقلة ، وان كنا نكتفى بالاشارة إلى أن موقف اللغويين القدماء من هذا الصوت مما يلفت النظر بحدّة ولعل من أوضح الأدلة على هذا ما فعله الخليل بن أحمد من جعلها أول حروف معجمه الذى سماه باسمها .

١٨ - الروم :

لم يعرض أساس البلاغة لشرح هذا المصطلح من ناحية دلالته الصوتية .

أما المحيط فقد عرفه تعريفا موجزا بأنه حركة مختلسة مختفاة وهى أكثر من الاشمام(٣٤) لأنها تسمع .

ولقد توسع لسان العرب فى شرح هذا المصطلح فحدد المواقف الصوتية التى يحدث فيها الروم وهى تنحصر فى حالتى الوقف على المرفوع والمجرور ثم أورد دافع الذين يلجأون إلى الروم كما حدده سيبويه ، بقوله : « أما الذين راموا الحركة فإنه دعاهم إلى ذلك الحرص على أن يخرجوها من حال ما لزمه اسكان على كل حال ، وأن يعلموا أن حالها عندهم ليس كحال ما سكن على كل حال ، وذلك أراد الذين أشموا إلا أن هؤلاء أشد توكيدا .

كما أورد تفسير الجوهرى لكلام سيبويه السابق بأن الروم يعنى حركة مختلسة مختفاه لضرب من التخفيف وهى أكثر من الاشمام لأنها تسمع ، وهى بزنة الحركة وان كانت مختلسة مثل همزة بين بين .

ويتضح من هذا الكلام أن الروم أقرب ما يكون إلى ما يسميه علماء الأصوات المحدثون الحركة المركزية Central Vowel وتأخذ هذه الحركة المركزية طابع الحركة التى لم تنطق بوضوح ، فتكون مشابهة للضمة (خلفية بعض الشىء) فى حالة الوقوف على المرفوع كما تكون مشابهة للكسرة (أمامية بعض الشىء) فى حالة الوقوف على المجرور .

ويتضح هذا من تمثيل الجوهرى وشرحه لحالة الروم فى قوله تعالى : ﴿ شهر رمضان ﴾ فيمن أخفى انما هو بحركة مختلسة ، ولا يجوز أن تكون الراء الأولى (فى شهر) ساكنة لأن الهاء قبلها ساكن فيؤدى إلى الجمع بين ساكنين فى الوصل من غير أن يكون قبلها حرف لين ، وهذا غير موجود فى شىء من لغات العرب - قال (يعنى الجوهرى) - ولا يعتبر بقول القراء أن هذا ونحوه مدغم لأنهم لا يحصلون هذا الباب .

فإذا انتقلنا إلى المعجم الوسيط وجدناه لا يضيف جديدا فى شرحه لهذا المصطلح .

١٩ - السكون :

لا يتعرض معجم من المعاجم المذكورة لهذا المصطلح بالشرح باستثناء المعجم الوسيط الذى شرحه بايجاز فى قوله « سكن الحرف ظهر غير متحرك » .

وواضح أن وصف الصوت بالسكون يعنى انعدام الحركة فى الفكر اللغوى القديم والتقليدى .. غير أن بعض المحدثين يستخدمون مصطلح الصوت الساكن ويقصدون به أى صوت من الأصوات غير الأصوات الحركية .

وتتضح المفارقة بين رأى القدماء ومن يجارونهم من جهة وبين رأى المحدثين من جهة أخرى إذا أخذنا صوت الباء المحركة بأى من الحركات الثلاث ، فالقدماء يعتبرون الباء وحركتها قيمة صوتية واحدة ويصفونها بأنها حرف متحرك ، أما المحدثون فإنهم يميزون بين قيمتين صوتيتين فى هذه الحالة هما القيمة المتمثلة فى الصوت الساكن وهو الباء ، والقيمة المتمثلة فى الحركة أيا كانت كسرة أو فتحة أو ضمة .

كما تتضح المفارقة بين الرأيين بصورة أكثر وضوحا إذا أخذنا ما يسمى عند القدماء حروف المد ، وهى الياء فى مثل قيل والألف فى مثل قال والواو فى مثل يقول .

فالقدماء ومن يجارونهم يعتبرون ما يسمونه بالياء والألف والواو حروفا ساكنة أما المحدثون فيعتبرون أيا منها حركة طويلة .

فإذا ما انتقلنا إلى دائرة علم العروض وجدنا المسألة تأخذ مفهوما آخر لدى العروضيين فالحركة عندهم تقابل أى قيمتين صوتيتين مكونتين من صوت ساكن Consonant وحركة Vowel أما السكون فيتمثل فى كل حركة طويلة أو فى كل صوت ساكن Consonant خال من الحركات ؛ فالكلمة عظيم تتكون من السواكن والحركات على النحو التالى عند كل من الفرق الثلاث .

١ - عند القدماء وتابعيهم : حرف متحرك بالفتحة = ع + حرف متحرك بالكسرة = ظ + حرف ساكن = ياء + حرف متحرك منون = الميم .

٢ - عند العروضيين : حرف متحرك بالفتحة = ع + حرف متحرك بالكسرة = ظ + حرف ساكن = ياء + حرف متحرك بالضمة = م + حرف ساكن = النون (الوزن فعولن) .

٣ – عند اللغويين المحدثين : صوت ساكن – حركة قصيرة + ساكن + حركة طويلة + ساكن + حركة قصيرة + ساكن = Eadimun أو ع – ظ ىَ م و ن .

٢٠ – شجْر الفم :

إذا كانت الصعوبة التى قابلتنا فى تصور دلالتى المصطلحين الآخرين أسلة اللسان وذلقة قد أمكن التغلب عليها من خلال الأصوات التى تنتج باشتراك هذين الجزأين – ، فإن الصعوبة التى تقابلنا فى تحديد دلالة هذا المصطلح « شجر الفم » بسكون الجيم لن تذلل بسهولة عن طريق الأصوات المنتجة باشتراك هذا الجزء .

لقد ذكر الخليل أن الحروف الشجَرية هى الجيم والشين والضاد[٣٥] أما سيبويه فينص على أن مخرج الجيم والشين هو وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى ويشترك معها الياء فى هذا المخرج أما مخرج الضاد عند سيبويه فهو : من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس[٣٦] .

ولقد عاش الرجلان فى عصر واحد ؛ فالخليل قد توفى فى عام ١٧٥ هـ أو ١٧٧ هـ أو ١٨٠ هـ وسيبويه قد توفى فى عام ١٨٠ هـ . ويعنى هذا أنهما يصفان أصواتا تنتمى إلى فترة لغوية واحدة .

فهل كانت الضاد التى وصفها الخليل تختلف عن تلك التى وصفها سيبويه ؟ ذلك إذا سلمنا بأن ما سماه الخليل شجر الفم يتطابق مع وسط اللسان فى التقائه بوسط الحنك الأعلى الذى حدده سيبويه مخرجا للجيم والشين .

لكن المسألة لا ينبغى أن تؤخذ بهذه البساطة ؛ فحين نعود إلى تتبع الأصوات العربية كما حددها سيبويه فى بداية دراسته لها تحت عنوان الادغام[٣٧] نجده يتكلم عن أكثر من جيم وعن أكثر من شين وعن أكثر من ضاد ، فهناك جيم وشين وضاد تعتبر من أصول الحروف العربية ، وهناك شين أخرى كالجيم وهى مستحسنة عنده وهناك جيم أخرى كالكاف ، وجيم ثالثة كالشين ، كما أن هناك ضادا ضعيفة[٣٨] وهذه الثلاثة الأخيرة غير مستحسنة عنده .

فإذا انتقلنا إلى التحديدات المعجمية لهذا المصطلح وجدنا غير قليل من الغموض الدلالى .

فشجر الفم يعنى عند صاحب أساس البلاغة : مفتحه ثم يذكر أن الضاد من الحروف الشجرية ومن الواضح أن هذا التعريف لا يساعد كثيرا فى الوصول إلى تصور محدد لهذا الجزء فما معنى أن شجر الفم هم مفتحه ؟؟ .

كما أنه لا يعنى شيئا واحدا عند صاحبى لسان العرب والمحيط ، فهو يعنى عند الأول مفرج الفم وقيل مؤخره وقيل هو الصامغ(٣٩) وقيل هو ما انفتح من منطبق الفم وقيل هو ملتقى اللهمزتين(٤٠) وقيل هو ما بين اللحيين كما يعنى عند الثانى : الذقن ومخرج الفم أو مؤخره أو الصامغ أو ما انفتح من منطبق الفم أو ملتقى اللهمزتين أو ما بين اللحيين والحروف الشجرية هى الشين والضاد والجيم .

ولعل أكثر تحديدات هذا الجزء غموضا هو ذلك الذى يورده المعجم الوسيط فى تعريفه لشجر الفم بأنه : جوف الفم بين سقف الحنك واللسان أو الذقن .

إن الشيء المؤكد التى يمكن الخروج به من تتبع هذين الجانبين لدى قدامى اللغويين وأعنى بهما جانبى التمثيل لما أسموه الحروف الشجرية وتعريف شجر الفم هو أن هذا المصطلح كان غامضا بالنسبة للقدماء أنفسهم ، وأن استخدام المحدثين له ينبغى أن يتسم بالحذر والتروى والتدقيق .

كما أن مناقشة دلالته توقفنا على الحقائق التالية :

١ – انفراد سيبويه ومن تابعه من اللغويين فى تحديد مخرج للضاد ليس هو مخرج الجيم والشين ؛ فقد حدد الخليل ومن والاه من اللغويين مخرجا واحدا لكل من الجيم والشين ومعهما الضاد .

٢ – اختلاف مخرج الضاد والشين والجيم كما تنطق اليوم عند المتخصصين فى العربية المجيدين ونقصد بهم هؤلاء الذين تخصصوا فى دراسة العربية وآدابها دراسة غير منفصلة عن الجانب الدينى عما كان فى القديم .

فالجيم والشين كلاهما صوتان لثويان حنكيان ، أما الضاد فهى صوت لثوى مفخم .

٣ – الحاجة الملحة إلى التدقيق فى مثل تلك المصطلحات القديمة الغامضة .

٢١ - الحروف الشديدة :

لم يربط صاحبا العين وأساس البلاغة بين صفة الشدة وبين الأصوات كما لم يربطا بين صفة الرخاوة وبين الأصوات . أما معاجم المحيط واللسان والوسيط فقد ربطت بين هذه الصفة وبين الأصوات المتصفة بها من وجهة نظرهم ؛ فاكتفى المحيط بالتمثيل لما سماه الحروف الشديدة واشترك اللسان والوسيط فى تعريفها كل من وجهة نظره ، ومثل لها اللسان ، بينما اكتفى أصحاب الوسيط بضرب أمثلة لما سموه الشديد من الأصوات .

لقد نقل صاحب اللسان تعريف سيبويه للحرف الشديد وهو : «الحرف الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه » ألا ترى أنك لو قلت الحق والشرط ثم رمت مد صوتك فى القاف والطاء لكان ممتنعا .

أما أصحاب الوسيط فقد عرفوا الشديد من الأصوات بأنه صوت عند مخرجه ينحبس الهواء انحباسا تاما لحظة قصيرة بعدها فيدفع الهواء فجأة فيحدث دويا كالدال والتاء مثلا .

ويمكن المقارنة بين نظرة اللغويين القدامى ومن يجاريهم وبين نظرة اللغويين المحدثين فى جانبين : هما جانب التعريف وجانب التمثيل .

أما جانب التعريف فإن القدماء يكادون يتفقون فيه مع المحدثين وذلك فيما يتصل باحدى العمليتين اللازمتين لانتاج الأصوات الشديدة ، وهى عملية حبس الهواء ؛ فمعنى أن الحرف يمنع الصوت أن يجرى فيه هو حبس الهواء فى نقطة ما من نقاط انتاج هذه الأصوات ، أما العملية الأخرى اللازمة لانتاج أى من هذه الأصوات فهى عملية اطلاق هذا الهواء دفعة واحدة ليحدث انفجارا به يسمع الصوت ، ويلاحظ أن المعجم الوسيط فى تعريفه قد تعرض للعمليتين كلتيهما .

ويستخدم بعض اللغويين المحدثين مصطلح الصوت الانحباسى بينما يتسخدم بعضهم الآخر مصطلح الصوت الانفجارى مساويا للمصطلح القديم « الحرف الشديد » والملاحظ أن أيا من المصطلحين الحديثين يتسم بالقصور ؛ فالانحباس يعنى الاشارة إلى العملية الأولى اللازمة لانتاج مثل هذه الأصوات وهى عملية اغلاق المجرى الهوائى فى نقطة ما من نقاط انتاج مثل هذه الأصوات ، أما الانفجار فيشير إلى العملية الثانية فقط وهى التى تتم عندما يسمح للهواء بالخروج دفعة واحدة بعد العملية السابقة وبهذا الخروج المفاجىء يسمع الصوت .

والذى نراه أن استخدام الصفتين مجتمعتينْ وصفا للصوت هو الاستخدام الدقيق والأمثل ؛ وفى هذه الحالة ينبغى أن يوصف الصوت بأنه انحباسى انفجارى .

وأما جانب التمثيل فإن القدماء ومن والاهم من المحدثين ينصون على أن الحروف الشديدة ثمانية ويجمعها قولك (أجدت طبقك) .

وهم بذلك يختلفون عن المحدثين المحققين فيما يتصل بصوتى الجيم والضاد ؛ فالمحدثون يعتبرون الجيم كما تنطق اليوم من مجيدى قراءة القرآن الكريم صوتا مركبا Affricate يجمع بين صفتى الشدة والرخاوة (حسب تعبير القدماء) أو هو يجمع بين صفتى الانحباس المنفجر والاحتكاك (حسب تعبير المحدثين) .

وهذا الاختلاف مما يسبب الدهشة إذا اعتبرنا جيم القدماء هى بعينها الجيم التى تنطق اليوم من المجيدين ؛ نظرا لدقة القدماء الفائقة فى وصف الأصوات .

ولكن تحقيق هذا الخلاف مما لا يعنينا هنا ، ونكتفى بالاشارة بأن القدماء كان لديهم أكثر من صورة نطقية للجيم[٤١] ، كما أنهم لم يدركوا أبدا أن هناك أصواتا مركبة ؛ فهم فى كلامهم عن ظاهرة الكشكشة يذكرون أنها تعنى قلب الكاف شيئا ، وهذا يعنى اغفال التاء التى تمثل مع الشين صوتا مركبا إليه تنقلب الكاف ؛ كما تشير إلى ذلك كافة اللهجات العربية المعاصرة التى احتفظت بتلك الظاهرة .

كما أن المحدثين ينظرون إلى الضاد كما تنطق اليوم من القراء المجيدين فى جمهورية مصر العربية على أنها صوت انفجارى أو انحباسى (شديد)وهم بذلك يختلفون عن القدماء الذين صنفوها فى قائمة الأصوات الرخوة (الاحتكاكية) .

ولا نريد أيضا أن نناقش هذه القضية الخلافية ؛ ونكتفى بالاشارة إلى حقيقتين هما :

١ - أن هناك أكثر من صورة نطقية للضاد عند القدماء ، فعندهم الضاد وعندهم أيضا ما سموه الضاد الضعيفة ، كما أن القدماء لم يتفقوا جميعا على مخرج الضاد ، فقد اعتبرها الخليل صوتا[٤٢] شجريا يشترك مع الجيم والشين فى مخرج واحد ، فى الوقت الذى اعتبرها سيبويه صوتا جانبيا لا يشترك مع الجيم والشين فى مخرج واحد .

٢ - أن نطق المجيدين من قراء القرآن الكريم فى العالم العربى ليس مما يعول عليه كلية فى مناقشة القدماء بالنسبة لوصف صوت الضاد ؛ فمن اللافت للنظر أن مجيدى قراءة القرآن الكريم (الحفاظ للقرآن) فى كثير من البلدان[٤٣] الإسلامية التى لا تنطق بالعربية ينطقون الضاد كما وصفها سيبويه ، فهى صوت جانبى مركب من عنصرين

شبيهين باللام المفخمة والضاد الحديثة . وهم ينطقونها من الجانب الأيمن وقد ينطقونها من الأيسر كما قال سيبويه ، ولا يوجد لها نظير مرقق من الأصوات كما يفهم من كلام سيبويه .

فهل لنا أن نقول أن سيبويه كان يصف ضادا اقتصر نطقها فى عصره كما اقتصر نطقها فى عصرنا على الناطقين بالعربية المجيدين لها من غير العرب ؟؟ .

٢٢ - الإشمام :

لم يتعرض أساس البلاغة لهذا المصطلح ، أما بقية المعاجم التى نعول عليها فى هذا البحث فقد عرضت له بتفصيل أو بايجاز . وتتضارب تفسيرات أصحاب هذه المعاجم لمصطلح الاشمام بحيث يكاد الوضوح فى تصوره أن يغيب ؛ ولهذا التضارب ما يبرره ؛ فالمصطلح يستخدم عند كل من النحويين وعلماء الأصوات وعلماء القراءات وما يعنيه بعض هؤلاء به قد يختلف عما يعنيه الآخرون .

سنركز كلامنا أولا على تصور علماء الأصوات لهذا المصطلح ثم نشير إلى تصور كل من النحويين والقراء .

لقد عرف الخليل الاشمام بأنه أن تشم الحرف الساكن حرفا كقولك فى الضمة : هذا العمل وتسكت ؛ فتجد فيه اشماما للام لم يبلغ أن يكون واوا ولا تحريكا يعتد به ، ولكن شمة من ضمة خفيفة ويجوز ذلك فى الكسر والفتح أيضا .

ويفهم من هذا النص حقيقتان هما :

١ - أن الاشمام يحدث فى حالة الوقف بعكس الروم(٤٤) الذى يحدث فى درج الكلام .

٢ - أنه يحدث فى حالة الوقف على كلمة منتهية باحدى الحركات الثلاث ، بعكس الروم الذى لا يحدث إلا مع الكسرة أو الضمة .

ولقد نقل صاحب التهذيب تعريف صاحب العين السابق بنصه وذلك فيما يرويه عنه صاحب اللسان .

غير أن الجوهرى فيما يرويه عنه صاحب اللسان كذلك يقصر الاشمام على حركتين اثنتين هما الضمة والكسرة ، ويذكر أنه أقل من روم الحركة لأنه لا يسمع وانما يتبين بحركة

الشفة ، ولا يعتد بها حركة لضعفها والحرف الذى فيه الاشمام ساكن أو كالساكن مثل قول الشاعر :

متى أنام لا يؤرقنى الكرى   ليلا ولا أسمع أجراس المطى

قال سيبويه : « العرب تشم القاف شيئا من الضمة ولو اعتددت بحركة الاشمام لانكسر البيت وصار تقطيع البيت : رقنى الكرى = متفاعلن ولا يكون ذلك إلا فى الكامل وهذا البيت من الرجز .

ويبدو أن صاحب اللسان يقصر الاشمام على الضمة والكسرة ، وكذلك يفعل صاحب القاموس المحيط الذى يعرف الاشمام بقوله : أشم الحروف : أذاقها الضمة والكسرة بحيث لا تسمع ولا يعتد بها ولا تكسر وزنا .

وبهذا يتفرد الخليل برأيه القائل ان الاشمام يمكن أن يحدث مع الفتح .. والذى يبدو لى أن الاشمام يشبه الروم فى كون كل منهما أقرب ما يكون إلى ما نسميه الحركة المركزية غير أن هذه الحركة قد تكون واضحة فى السمع فتكون روما وقد تكون غير واضحة فتكون اشماما ، هذا مع عدم اغفال الموقعية الصوتية لكل من هاتين الظاهرتين ؛ فموقعية الاشمام تتمثل فى حالة الوقف على ما يرى الخليل ، وان كان غيره من اللغويين يتكلم عن الاشمام فى درج الكلام كما هو واضح من مقال سيبويه وبهذا لا تختلف الموقعية فى الاشمام عنها فى الروم .

فإذا انتقلنا إلى المعجم الوسيط وجدناه يعطى هذا المصطلح دلالات أخرى .

والمفهوم من شرحه أن الاشمام عند جمهور النحاة والقراء يمكن أن يكون له أثر سمعى ، وأنه يتعلق بالأصوات الساكنة Consonants كما يتعلق بالحركات الطويلة وأنه لا يكون ذا أثر سمعى لدى القراء وحدهم وذلك فى حالة الوقف على آخر الكلمة المضمومة بالسكون ، ويكون معناه فى هذه الحالة ؛ اشارة القارىء بشفتيه إلى الضمة المحذوفة ؛ أى أنه يضم شفتيه كأنه ينطق الضمة دون أن ينطقها . يقول أصحاب هذا المعجم :

« الاشمام عند جمهور النحاة والقراء : صبغ الصوت اللغوى بمسحة من صوت آخر مثل نطق كثير من قيس وبنى أسد لأمثال : قيل وبيع بإمالة نحو واو المد ومثل اشمام الصاد صوت الزاى فى قراءة الكسائى بصفة خاصة ، والاشمام أيضا (لدى القراء وحدهم) الاشارة بالشفتين إلى الضمة المحذوفة من آخر الكلمة الموقوف عليها بالسكون من غير تصويت بهذه الضمة .

وواضح أن الاشمام الذى يتكلم عنه المعجم الوسيط غير الاشمام الآخر الذى يتكلم عنه اللغويون القدامى فهو يعنى لدى جمهور النحويين والقراء الذين يتكلم عنهم أصحاب المعجم الوسيط تغيير الحركة من كونها كسرة خالصة (أقرب ما تكون إلى الحركة الأمامية الضيقة) إلى كونها حركة أقرب ما تكون إلى الحركة الخلفية المتمثلة فى النطق الألمانى للحركة الأولى من كلمة = ميونخ .

أما عند القدماء فلا يعنى أكثر من نطق الحركة القصيرة بحيث لا تسمع .

كما أن ارتباط الاشمام بالأصوات الساكنة الذى مثل له باشمام الصاد صوت الزاى[٤٥] يمثل دلالة أخرى لهذا المصطلح .

٢٣ - الحروف المصمتة :

لم أعثر على هذا المصطلح فى العين ولا فى أساس البلاغة ولا فى المحيط ولا فى الوسيط ، ولقد تعرض اللسان لهذا المصطلح وعرف الحروف المصمتة بأنها ما عدا حروف الذلاقة[٤٦] ، سميت بذلك لأنه صمت عنها أن يبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة .

فكل الأصوات العربية مصمته ما عدا الراء واللام والنون ، وواضح أن هذا الوصف لا يتصل بأى من الجوانب الثلاثة التى نصف بها الصوت فى علم الأصوات النطقى .

٢٤ - الصوت :

لم تجاف المعاجم العربية الصواب عندما حددت مدلولات مادة صات فى النداء والذكر الحسن والسيرة ، فقد تم استخدام كلمة صوت وجمعها أصوات فى القرآن الكريم بذلك المعنى العام الذى يفهم من كلمة صوت وهو الأثر السمعى للذبذبات التى يحدثها مصدر ما فى الهواء .

فالصوت فى الفكر اللغوى القديم يعنى كل ما يمكن أن يسمعه الإنسان ، ولم يستخدم أحد من القدماء هذا المصطلح للصوت اللغوى المفرد ، كصوت الباء أو صوت اللام مثلا .

أما الصوت لدى المحققين من اللغويين المحدثين فيعنى ما عناه القدماء بمصطلح الحرف عند كلامهم عن الأصوات ؛ فصوت الباء يساوى عند القدماء حرف الباء وهكذا .

وهو بهذا المفهوم الخاص يساوى المصطلح الانجليزى **Sound** أو الألمانى **laut** أما مفهومه العام فإنه يساوى ما يعنى بالمصطلح الانجليزى **Voice** أو الألمانى **Stimme** .

غير أن صاحب اللسان يعرف الصوت بأنه الجرس[٤٧] وهو تعريف غير دقيق فقد سبق أن تعرضنا لمصطلح الجرس وبينا المقصود منه .

ولقد أدرك ابن جنى من قديم العلاقة بين الحرف والصوت وحدد الأول بأنه حد منقطع الصوت[٤٨] . بما يفهم منه أن الصوت يعنى ما نعنية نحن الآن بكلمة حس ، عندما نقول أسمع حسا ولا أرى أحدا وأن الحرف هو الصوت اللغوى المفرد .

فإذا انتقلنا إلى المعجم الوسيط وجدناه يعرف الصوت ذلك التعريف العام حيث يقرر أنه : الأثر السمعى الذى تحدثه تموجات ناشئة من اهتزاز أثر جسم ما .

ولكنه لا يتعرض للصوت بمفهومه الخاص عند علماء الأصوات المحدثين والذى يساوى المفهوم من مصطلح حرف فى الفكر اللغوى القديم ، كما سبق القول .

٢٥ - طبق الفم :

يستعمل بعض اللغويين المحدثين مصطلح الأصوات الطبقية نسبة إلى طبق الفم ويقصدون به الجزء الرخو من سقف الحنك[٥٠] وهو مخرج عندهم لأصوات الكاف والغين والخاء .

ولم يتعرض الخليل لهذا الجزء وهو يعدد مخارج الحروف ، وكذلك لم يرد له ذكر عند سيبويه وابن جنى ومن تابعهما من القدامى .

ولقد حاولنا العثور على دلالة لطبق الفم هذا فى المعاجم القديمة ، فلم نوفق ؛ حيث لم يرد له ذكر فى تهذيب اللغة ولا فى المحيط ولا فى أساس البلاغة ولا فى المحيط ولا فى اللسان ولا فى تاج العروس ولا فى المعجم الوسيط .

وأغلب هذه المعاجم لا تتعرض إلا لعملية الاطباق التى ينجم عنها تفخيم نطق الأصوات الأربعة الصاد والضاد والطاء والظاء ، وهم يعرفون الاطباق بأنه « رفع ظهر اللسان إلى الحنك الأعلى مطبقا له ، ثم يوردون نص سيبويه الشهير : لولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس من موضعها شىء غيرها ، تزول الضاد إلى عدم الاطباق البتة ، وغنى عن الذكر أن عملية الاطباق لا تتصل بما يسمى طبق الفم بوشيجة[٥١] .

ولسوء الحظ لم يشر مستعملو هذا المصطلح إلى الأساس اللغوى الذى اعتمدوا عليه فى تسمية ذلك الجزء الخلفى من سقف الحنك (الحنك الرخو) طبقا .

فالخليل جعل اللهاة مخرجا للكاف ، كما جعل الحلق مخرجا للغين والخاء أما سيبويه فقد حدد مخرج الكاف بأنه من أسفل أقصى اللسان قليلا وما يليه من الحنك كما حدد مخرج الغين والخاء بأنه أدنى الحلق .

٢٦ - غار الفم :

يحار الباحث وهو يحاول معرفة الدلالة الحقيقية لهذا المصطلح بطريقة محددة ، وتعود الحيرة إلى عدم وضوح ما يعنيه عند القدماء أنفسهم ؛ فالمحيط واللسان يتفقان على إيراد المعانى التالية لغار الفم :

١ - ما خلف الفراشة من أعلى الفم .

٢ - الأخدود الذى بين اللحيين .

٣ - داخل الفم .

وينفرد اللسان بالقول بأن غار الفم نطعاه فى الحنكين كما يورد رأيا لابن سيده يقول إن الغار يعنى فم الإنسان .

أما الوسيط فيكتفى باقتباس أحد المعانى السابقة وهو المعنى الثانى الذى يشترك فى إيراده المحيط واللسان ، ولا توجد اشارة لتبرير اختيار الوسيط لهذا المعنى دون سواه .

ولم يتعرض الخليل ولا سيبويه للغار على أنه مخرج لأحد الأصوات ، وان ذكر الخليل أن حروف الطاء والتاء والدال نطعية ؛ وبالعودة إلى التعريفات السابقة نجد أن اللسان فى أحد تعريفاته التى انفرد بايرادها للغار يقول : ان غار الفم نطعاه فى الحنكين ..

ونرى قبل النظر فى التعريفات السابقة أن نحاول تصور دلالاتها على نحو واضح .

ان التعريف الأول ينص على أن الغار ما خلف الفراشة من أعلى الفم ، وبالعودة إلى المحيط نجده يعرف الفراشة بأنها كل عظم رقيق ، ولا يعطينا هذا التعريف تصورا واضحا لشىء ، فإذا ذهبنا إلى لسان العرب وجدناه يتكلم مرة عن الفراش بفتح الفاء وبدون هاء التأنيث ويورد لها تعريفات متعددة ، كما يورد الصيغة المثناة لهذه الكلمة وهى فراشتان ويعرفهما بأنهما غرضوفتان عند اللهاة أما المعانى التى يوردها للفراش فهى :

١ - موقع اللسان فى قعر الفم وهذا التعريف لا يساعدنا فى تحديد موقع الغار ولا يتصل بشىء مما نحن فيه .

٢ – فراش اللسان اللحمة التى تحته ، وهذا أيضا لا يتصل بشيء مما نحن فيه .

٣ – فراش اللسان موقع اللسان من أسفل الحنك ، وذلك بدوره لا يساعد على فهم شيء محدد .

٤ – فراش اللسان الجلدة الخشنة التى تلى أصول الأسنان العليا ، ولعل هذا هو أدق التعاريف ؛ لأنه يشير إلى الجزء المقصود بدقة ، والمقصود هو ذلك الجزء الأسفل من اللثة ؛ حيث يلمس الإنسان خشونة إذا أجرى لسانه عليه ، وما دام الغار هو ما خلف هذا الجزء ، فنحن نعتبر كل التجويف التالى له فى سقف الحنك حتى نهاية الحنك الرخو هو الغار ، وعلى الرغم من ذلك فقد لجأ بعض المحدثين[٤٩] إلى اعتبار الغار مخرجا لأصوات الشين والجيم والياء ، ويعنى هذا أن الغار عندهم يساوى بشكل ما شجر الفم عند الخليل حيث هو مخرج عنده لكل من الشين والجين بالاضافة إلى الياء .

أما التعريف الثانى للغار بأنه الأخلود الذى بين اللحيين وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم من كل ذى لحى فلن نأخذه فى الاعتبار لأنه لا يساعدنا فى تحديد مخرج ما من مخارج الأصوات .

وأما التعريف الثالث للغار بأنه داخل الفم فلا نستطيع قبوله لأنه يتسم بالعمومية وعدم التحديد .

وأما التعريف الذى انفرد به اللسان بأن غار الفم هو نطعاه فى الحنكين فغير دقيق أيضا ؛ لأننا لو رجعنا إلى تعريف النطع فى نفس المعجم وجدنا أنه يعنى به : ما ظهر من غار الفم الأعلى وهو الجلدة الملتزقة بعظم الحليقاء فيها آثار كالتحزيز ، وهناك موقع اللسان فى الحنك ، فكيف يكون الغار هو النطع ، فى نفس الوقت الذى يكون فيه النطع ليس الغار بل الجزء الذى يظهر منه فقط ؟ اننا يمكن أن نتصور النطع بطريقة دقيقة إذا وضعنا فى اعتبارنا أن الخليل قد حدد النطع مخرجا لأصوات التاء والطاء والدال ، فوصفها بأنها نطعية ، كما حدد سيبويه مخرج هذه الأصوات الثلاثة بأنه مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا .

فالحروف النطعية تقابل بعض الأصوات اللثوية فى اعتبار المحدثين ؛ لأن هذه الأصوات اللثوية لا تقتصر على هذه الثلاثة التى ذكرها الخليل .

٢٧ - الحروف المنفتحة :

لم يتعرض لهذا المصطلح أى من المعاجم المذكورة باستثناء القاموس المحيط الذى عرفه عن طريق التمثيل بقوله : « الحروف المنفتحة ما عدا ض ط ص ظ ، ومعنى هذا أن الأصوات الأربعة المفخمة تفخيما أساسيا غير منفتحة ولسنا ندرى بالضبط ماذا يعنى هذا الحكم إلا أن يكون وصفا لحالة تقعر اللسان أثناء نطق هذه الأصوات ؟

٢٨ - اللسـان :

تنظر معظم المعاجم العربية إلى هذا العضو الرئيسى من أعضاء النطق كما لو كان شيئا بديهيا ، فتركز اهتمامها على شرح الدلالات المجازية المختلفة للسان ، ولا تشير إلى دلالته على ذلك العضو - آن اشارت - الا باختصار .

لقد اكتفى لسان العرب بتعريفه بكلمة واحدة هي « الجارحة » أما الوسيط فقد عرفه بأنه جسم لحمى مستطيل متحرك يكون فى الفم ويصلح للتذوق والبلع النطق .

أما تقسيم اللسان إلى أجزائه المختلفة فقد عالجته المعاجم العربية - كل بطريقته الخاصة - فى المواطن المختلفة الخاصة باسم كل جزء منها .

أما المصطلح الآخر « لسان المزمار .... فلم يرد له ذكر فى المعاجم القديمة ويبدو أن القدماء لم يعرفوا هذه التسمية ، وان كان هذا لا يمنع أنهم ربما قد عرفوا هذا العضو وأطلقوا عليه اسما آخر .

ويتعرض الوسيط للسان المزمار معرفا اياه بأنه صفيحة غضروفيه عند أصل اللسان سرجية الشكل مغطاء بغطاء مخاطى ، تنحدر للخلف للتغطية فتحة الحنجرة لاقفالها فى أثناء عملية البلع .

٢٩ - اللهاة :

لا يورد أساس البلاغة ذكرا لهذا الجزء ، أما المعاجم الأخرى فإنها تعرفه بوضوح ، فهى تتفق على ايراد تعريف ابن سيدة للهاة بأنها اللحمة المشرفة على الحلق ، وقيل هى ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم ، وذلك بالاضافة إلى بعض التعريفات الأخرى .

ولقد ذكر الخليل أن مخرج كل من القاف والكاف هو اللهاة . ويمكن قبول هذا الرأى على أساس أن اللهاة تعنى عنده تلك المنطقة المنحصرة بين مركز الحنك الأعلى وبين منقطع أصله . ولقد ذكر سيبويه أن مخرج القاف هو أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى وذلك يعنى أنه حدد مخرج القاف بدقة ، فهذا الجزء الذى ذكره هو المعروف باللهاة ، وان كان سيبويه لم يذكر هذا المصطلح ، أما الكاف فقد حدد سيبويه مخرجها بأنه من أسفل موضع القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك ، وهذا صحيح تماما ويطابق مخرج الكاف عند المحدثين وهو ما يسمونه الحنك الرخو .

٣٠ – النبر :

لا يمثل هذا المصطلح فى التصور اللغوى القديم لدى أصحاب المعاجم العربية أكثر من معنى الهمزه ورفع الصوت ، فعندما يقال نبر الحرف ينبره يكون المعنى همزه . ويروى صاحب اللسان عن ابن الأنبارى قوله : « النبر عند العرب ارتفاع الصوت ، يقال نبر الرجل نبرة اذا تكلم بكلمة فيها علو ، ونبرة المغنى رفع صوته عن خفض ، وكل ما رفعته فقد نبرته .

وينم هذا عن ادراك القدماء لنتيجة النبر كما نفهمه اليوم ، أما عملية النبر نفسها وتعنى الضغط على مقطع صوتى معين أو على كلمة معينة فى الجملة وتكون نتيجتها زيادة وضوحها فى السمع أكثر من المقاطع أو الكلمات الأخرى غير المنبورة فلم تلفت نظر القدماء .

ولقد استخدم القدماء كلمة النبرة وعنوا بها الهمزة كما يقرر صاحب القاموس المحيط ، ويسود استخدام هذه الكلمة فى أيامنا هذه اللدلالة على أحد الرموز الكتابية التى تكتب عليها الهمزة فى مثل كلمة بئر ؛ فالبعض يقول ان الهمزة هنا قد كتبت على نبرة .

ويعرف الوسيط النبر بأنه ابراز أحد مقاطع الكلمة عند النطق ، ولم يتعرض الوسيط للوسيلة التى يتم بها هذا الابراز وتتمثل فى عملية الضغط على هذا المقطع أثناء نطقه بأنه تكون نبضة الرئة التى أنتجته أقوى من النبرات الرئوية الأخرى الطاردة لهواء الزفير والتى تنتج المقاطع غير المنبورة .

٣١ – نطع الفم :

تكلمنا عن هذا الجزء وعن علاقته بغار الفم أثناء بحثنا للمصطلح الأخير ، ويعنينا هنا أن نلفت النظر إلى عدم وضوح فكرة تحديد المخرج لدى الخليل ، ذلك الذى تلافاه سيبويه بنظره الثاقب الدقيق .

لقد حدد الخليل نطع الفم مخرجا لأصوات التاء والطاء والدال ، ويعنى هذا أنه حدد الجزء الذى يشترك مع اللسان فى انتاج هذه الأصوات ، وذلك فى الوقت الذى حدد فيه أسلة اللسان مخرجا لأصوات الصاد والسين والزاى ، كما حدد ذلق اللسان مخرجا لأصوات الراء واللام والنون ، ومعنى هذا أنه حدد الجزء من اللسان الذى يشترك مع اللثة فى انتاج هذه الأصوات دون أن يشير إلى ما يقابل جزء اللسان هنا من أجزاء الحنك .

ولقد تلافى سيبويه ذلك القصور فتكلم عن الجزء الخاص من اللسان وفى نفس الوقت لم يهمل الجزء المشترك معه فى انتاج أى من هذه الأصوات(٥٢) .

وعموما فإن المعاجم تشترك فى تعريف النطع بأنه ما ظهر من غار الفم الأعلى كما يشترك أغلبها مع الخليل فى وصف أصوات الطاء والدال والتاء بأنها نطعية .

٣٢ - الحروف المهتوته :

الهت شبه العصر للصوت والهمز العصر ويقال الهمز صوت مهتوت فى أقصى الحلق ؛ فإذا رفه من الهمزة صار نفسا يحول إلى مخرج الهاء ولذلك استخفت العرب ادخال الهاء على الألف المقطوعة يقال : أراق هراق وأيهات وهيهات ، وتقول : يهت الانسان الهمزة هتا إذا تكلم بها(٥٣) .

هذا النص السابق من معجم العين للخليل بن أحمد يوقفنا على أن الهمزة صوت مهتوت ويفهم من هذا الهت ضرب خاص من العصر أو انحباس الهواء وهو الذى يحدث فى الحنجرة منتجا صوت الهمزة الانحباسى الانفجارى .

لكن صاحب اللسان ينقل عن سيبويه رأيا معارضا وذلك فى قوله : « قال سيبويه من الحروف المهتوت وهو الهاء وذلك لما فيها من الضعف والخفاء » .

نحن اذن أمام رأيين متعارضين ؛ فالهمزة صوت مهتوت لما فيها من العصر ، والهاء صوت مهتوت لما فيها من الضعف والخفاء .

ونرى أن رأى الخليل أقرب إلى الصواب من رأى سيبويه بناء على أن الهت هو عصر الصوت وهذا لا يتم إلا فى الأصوات الانحباسية الانفجارية ، أما الأصوات الاحتكاكية ومنها الهاء فلا يحدث أثناء نطقها مثل ذلك العصر .

لكن ما يلفت النظر أن هذا المصطلح القديم خاص بالأصوات الحنجرية دون غيرها .

٣٣ - الهمس :

يردد اللغويون القدامى وبعض علماء القراءات كابن الجزرى تعريف سيبويه للهمس وتجرى معظم المعاجم العربية التى تعالج هذا المصطلح هذا المجرى ؛ حيث تورد تعريف سيبويه ، فاللسان والوسيط يقرران أن المهموس حرف ضعف الاعتماد من موضعه حتى جرى معه النفس .

ونلاحظ نفس ما لا حظناه فى بحثنا مصطلح الجهر من أن القدماء يصفون هنا شيئا أقرب ما يكون إلى وصف كيفية خروج الهواء مع الأصوات الاحتكاكية ، وأنهم لم يلتفتوا إلى السبب الحقيقى للهمس أو للجهر وهو عدم تذبذب الأوتار الصوتية مع الأول ، وتذبذبها مع الثانى ، وذلك لعدم معرفة القدماء بهما(٥٤) .

كما نلاحظ أن تمثيلهم للأصوات المهموسة صحيح ، فقد مثلوا لها بالأصوات التى تجمعها حروف : سكت فحثه شخص ، وهم يجمعون على ذلك التمثيل باستثناء السكاكى الذى انفرد برأى اعتبر فيه الكاف والتاء صوتين مجهورين .

ويؤخذ من هذا التمثيل أن القدماء قد اعتبروا القاف والطاء صوتين مجهورين وهو ما يختلفون فيه مع المحدثين الذين يعتبرون هذين الصوتين مهموسين .

ويمكن القول بأن القدماء وعلى رأسهم ابن جنى قد تنبهوا إلى دور الوترين الصوتيين فى عملية جهر الصوت أو همسه ، فصاحب اللسان يروى عنه قوله : « فأما حروف الهمس فإن الصوت الذى يخرج معها نفس وليس من صوت الصدر ، إنما يخرج منسلا وليس كنفخ الزاى والظاء والذال ..

ويلفت هذا النص النظر إلى أن ابن جنى قد التفت إلى ما سماه صوت الصدر الذى يصاحب الأصوات المجهورة ، ولا نظن إلا أنه يعنى تلك الذبذبات التى يمكن أن يحسها المرء عند نطقه أحد الأصوات المجهورة ، ولا يحسها عند نطقه أحد الأصوات المهموسة .

ولقد أورد صاحب القاموس المحيط تعريفًا للهمس يقترب كثيرا من كلام ابن جنى هذا ؛ فهو يعرفه بأنه : حس الصوت فى الفم مما لا اشراب له فى صوت الصدر ولا جهارة فى المنطق .

ونرى أن هذا التعريف أكثر دقة – من تعريف سيبويه الذى سيطر على فكر اللغويين العرب بوجه عام حتى ان معجما معاصرا هو الوسيط يردد رأى سيبويه تعرفا وتمثيلا دون أن يلفت نظر القارىء إلى مواطن الاختلاف بين المحدثين والقدماء فى الجانبين المذكورين .

٣٤ - الوتران الصوتيان :

لم يرد هذا المصطلح فى أى من المعاجم القديمة المذكورة ، كما لم يتعرض له المعجم الوسيط وان أورده هانزفير Hans War فى معجمه .

ويوقفنا هذا على أن القدماء لم يعرفوا هذين العضوين اللذين يتوقف على تذبذبهما جهر الصوت كما يتفق على عدم تذبذبهما همسه .

٣٥ - الحروف المتوسطة :

آثرنا استخدام هذه المصطلح لما سماه القدماء الحروف التى بين الشديدة والرخوة ، حتى يكون لها مكان الترتيب الهجائى للمصطلحات المدروسة .

ويذكر صاحب اللسان أن هذه الحروف ثمانية وهى الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو يجمعها فى اللفظ قولك : لم يروعنا .

وأساس النظر إلى هذه الأصوات هو كيفية خروج الهواء أثناء نطقها ؛ فهى ليست (شديدة) وليست كذلك (رخوة) عند القدماء .

ويتفق المحدثون مع القدماء فى هذا باستثناء صوت العين الذى يصنفه المحدثون فى قائمة الأصوات الرخوة (الاحتكاكية) .

أما الألف فيمكن قبول رأى القدماء فيها إذا قصد بها الفتحة الطويلة ، وهذا ما يقتضيه المقام ؛ لأن القدماء قد صنفوا الهمزة فى قائمة الأصوات الشديدة لكن المحدثين يفصلون الوصف بعض الشىء عن القدماء .

فالألف والواو والياء ، وهى ما تساوى الحركات الثلاثة الطويلة عند المحدين أصوات انطلاقية ، كما أن الواو والياء عند المحدثين أنصاف حركات أو أنصاف سواكن إذا وقعا بعد حركة ليست من جنسهما فى مثل قول ، وبيت .

أما اللام فهى صوت جانبى lateral ، وأما الراء فهى صوت مكرر Volled أو لمسىّ Flapped ، وتكون صوتا مكررا إذا وقعت فى نهاية مقطع صوتى ، كما تكون صوتا لمسيا إذا وقعت فى بداية المقطع .

أما الميم والنو ن فهما صوتان أنفيان nasal .

خامسا : خاتمة البحث :

تؤكد الأمثلة التى عولجت فى هذا البحث كما تؤكد غيرها مما لم يقدم هنا أن هناك أنفصامًا من نوع ما بين تصور القدماء لدلالة هذه المصطلحات من جهة وبين تصور المحدثين لهذه الدلالة من جهة أخرى ، كما تؤكد تلك الأمثلة أن كثيرًا منها لم يكن واضحا لدى القدماء أنفسهم بدليل تقديم أكثر من تفسير للمصطلح الواحد الذى لا يحتمل أكثر من تفسير ؛ فالحنك هو الحنك ، وشجر الفم هو شجر الفم وأسلة اللسان غير ذلقه وعلى الرغم من ذلك لا نكاد نعثر على دلالات محددة لهذه المصطلحات ولغيرها ؛ ويرجع هذا المنهج الذى انتهجه واضعو المعاجم العربية وهو منهج النقل ، فالحديث نسبيا ينقل عمن سبقه وقد يشير أحيانا إلى مصدره ، وفى أغلب الأحيان لا يشير ، بل يجمع تفسيرات السابقين أو معظمها ويقدمها على أنها التفسيرات السائدة فى عصره ، على الرغم من التناقض بين بعض هذه التفسيرات وبين بعضها الآخر .

وهذا يدعونا إلى وجوب بحث مشكلة المصطلح الدلالية بشكل جاد ، للوصول إلى تصور واضح ومحدد لما يعنيه .

وكما سبق أن قلنا فإننا نجافى الصواب كثيرا عندما نأخذ هذه المصطلحات ببساطة ونستخدمها بما فى أذهاننا لها من دلالات ، قد لا تكون هى عين الدلالات التى أرادها القدماء ، ثم نناقشهم أو نتدارس آراءهم على هذا الأساس المعيب .

اننا لا نرجو إلا يكون هذا البحث مثيرا لمراجعة مشكلة المصطلح فى الدرس الصوتى بوجه خاص وفى الدرس اللغوى بوجه عام ، ووضع حلول لغموضه الدلالى ، ليكون ذلك منطلقا لتصور علمى واضح ومستنير ومحدد ...

الهــوامش :

(١) انظر مصطلح « الخياشيم » .

(٢) انظر : « ذلق اللسان » .

(٣) انظر على سبيل المثال : علم اللغة مقدمة للقارىء العربى د. محمود السعران – مناهج البحث فى اللغة د. تمام حسان . الأصوات اللغوية د. ابراهيم أنيس . الأصوات اللغوية د. كمال بشر ، المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب ، العربية نحو بناء لغوى جديد للأب هنرى فليش اليسوعى ترجمة د. عبد الصبور شاهين .

(٤) راجع مصطلح الحلق .

(٥) أنظر الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٢ وما بعدها : سيبويه .

(٦) راجع مصطلح « صوت » .

(٧) راجع مصطلح حرف .

(٨) أنظر : Aratische Worterbuch Fur Schriftsprache der Gegenwart. O. H. Wiestaden (1968).

(٩) أنظر مصطلح الوترين الصوتيين .

(١٠) أنظر مصطلح الحروف الشديدة .

(١١) أنظر الأصوات اللغوية د. ابراهيم أنيس .

(١٢) أنظر لسان العرب مادة شدد .

(١٣) أنظر الأصوات اللغوية لأستاذنا الدكتور كمال بشر .

(١٤) أنظر بحثنا المنشور فى « دراساتا عربية واسلامية » العدد الخامس عن الأصوات وأثرها فى المعجم العربى ص ١٠٥ .

(١٥) أنظر سر صناعة الاعراب جـ ١ ص ١٦ .

(١٦) أنظر على سبيل المثال تجديد النحوص ٤٩ للدكتور شوق ضيف .

(١٧) راجع مصطلح « الصوت » .

(١٨) أنظر تجديد النحوص ٤٩ للدكتور شوق ضيف .

(١٩) راجع « البلعوم » .

(٢٠) راجع هذا المصطلح .

(٢١) يلفت النظر هنا الحكم على الهمز بأنه صوت وليس حرفا فهل يقصد الخليل مجرد التهميز **Glottalision** ؟ .

(٢٢) أنظر العين جـ ١ ص ٤ ، ص ٦٥ تحقيق الدكتور عبد الله درويش .

(٢٣) أنظر الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٣ – ص ٤٣٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون – وسر صناعة الاعراب جـ ١ ص ٤٦ ، ومفتاح العلوم ص ٥ .

(٢٤) أنظر سر صناعة الاعراب ص ٤٦ .

(٢٥) أنظر الأصوات اللغوية د. كمال بشر .

(٢٦) أنظر العين جـ ١ ص ٦٤ والكتاب جـ ٤ ص ٤٣٣ وسر صناعة الاعراب جـ ١ ص ٥٢ ومفتاح العلوم ص ٥ .

(٢٧) أنظر النشر فى القراءات العشر جـ ١ ص ١٩٨ .

(٢٨) أنظر العين جـ ١ ص ٦٤ ، ص ٦٥ .

(٢٩) أنظر الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٣ – ص ٤٣٤ وسر صناعة الاعراب ص ٥٢ – ص ٥٣ مع هامشهما .

(٣٠) النشر فى القراءات العشر جـ ١ ص ٢٠١ .

(٣١) أنظر العين جـ ١ ص ٦٤ – ص ٦٥ .

(٣٢) راجع هذا المصطلح .

(٣٣) نود أن نلفت النظر إلى أن الضاد التى وصفها سيبويه ما زالت تنطق حتى يومنا هذا من حفظة القرآن الكريم

المجيدين فى بعض البلاد الإسلامية التى لا تنطق العربية مثل باكستان وماليزيا وتركيا وايران . ولقد سمعتها بنفسى من بعض هؤلاء ، فهل هناك علاقة بين الأصل الفارسى لسيبويه وبين الضاد الى وصفها ؟

(٣٤) راجع هذا المصطلح .

(٣٥) أنظر العين جـ ١ ص ٦٤ ، ص ٦٥ .

(٣٦) أنظر الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٤ .

(٣٧) أنظر الكتاب جـ ٤ ص ٤٣١ .

(٣٨) أنظر الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٢ .

(٣٩) الصمغتان والصامغان والصماغان جانبا الفم ، وقيل هما مؤخرا الفم ، وقيل هما مجتمع الريق من الشفتين الذى يمسحه الإنسان ، وفى التهذيب مجتمع الريق فى جانب الشفتين (انظر اللسان مادة صمغ) .

(٤٠) اللهمزتان ، مضيغتان عليتان فى أصل الحنكين فى أسفل الشدقين وفى المحكم : مضيغتان فى أصل الحنك ، وقيل عند منحنى اللحيين أسفل الأذنين وهما معظم اللحيين وقيل هما ما تحت الأذنين من أعلى اللحيين وقيل هما مجتمع اللحم بين الماضغ والأذن من اللحى ، واللهازم أصول الحنكين واحدتها لهمزة بالكسر ... (انظر اللسان) .

(٤١) أنظر الكتاب جـ ٤ ص ٤٣٢ .

(٤٢) أنظر هذا المصطلح .

(٤٣) سمعت هذا بنفسى من بعض هؤلاء .

(٤٤) أنظر هذا المصطلح .

(٤٥) الزاى هنا هى النظير المفخم للزاى كما تنطق اليوم أى أنها النظير المجهور للصاد ويوجد هذا الصوت فى العامية المصرية بديلا للضاد أو الظاء فى الفصحى فى مثل كلمتى ظابط ومحفظة : Zabit و mahfaza ولهذا الصوت أصل فى بعضاللهجات العربية القديمة والمعتد بها فسيبويه يتحدث عن الصاد التى كالزاى وهى عنده حسنة يؤخذ بها فى قراءة القرآن الكريم وأداء الشعر ، غير أن عدم وجود رمز كتابى فى العربية لهذا الصوت المفخم هو الذى جعلنا لا نلتفت إليه (انظر بحثنا لذلك فى كتاب : الأصوات العربية ودورها فى المعجم العربى (الصاد) . تحت الطبع) .

(٤٦) أنظر هذا المصطلح .

(٤٧) أنظر هذا المصطلح .

(٤٨) راجع مصطلح الحرف .

(٤٩) أنظر : المدخل إلى علم اللغة ص ٣١ د. رمضان عبد التواب .

(٥٠) السابق .

(٥١) مناهج البحث فى اللغة ص ٨٩ د. تمام حسان .

(٥٢) راجع الكتاب جـ ١ ص ٤٣٢ وما بعدها .

(٥٣) راجع مادة هزم فى العين وهمز فى لسان العرب .

(٥٤) يحمل مصطلحا الجهر والهمس دلالة خاصة فى علم التجويد ، فالحرف المجهور تتضح فيه شدة الجهر والحرف المهموس يتضح فيه لين الجرس ، وواضح ما فى هذين التعريفين من غموض . أنظر تجديد النحو ص ٥٠ .